

البيئة في منظور النبوة قولاً وسلوكاً

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونتوب إليه ، واشهد ان لا اله الا الله وحده لا شريك له العزيز الجبار
الرازق الوهاب ، الباري الخالق جل جلاله ، واشهد ان محمداً رسول الله عبده ورسوله صفيه من خلقه وحببيه
الذي بلغ الرسالة وادى الامانة ونصح الامة وكشف الغمة ودعل البشرية الى الدين القويم (ما فرطنا في
الكتاب من شيء) افلح وفاز من تمسك بكتاب الله وسنته الشريفة r .

أما بعد ،

فيا أيها الإخوة المؤمنون المسلمون :

كثر الحديث عن البيئة ضرورة حمايتها ورعايتها ، حمايتها من التلوث ورعايتها من أجل أن تكون بيئة نظيفة
جيدة تناسب الإنسان حتى يكون فيها الإنسان ذا صحة جيدة أيضاً ، والبيئة - في رأيي - بيئتان : بيئة مادية
نحميها من الأوساخ المادية ومن التلوث المادي ونرعاها من أجل أن تكون بكل معنى الكلمة ، لأن النظافة كما
نردد هنا وهناك عنوان الحضارة ، وهناك بيئة معنوية يجب أيضاً أن نحميها من التلوث المعنوي ، ينبغي أيضاً
أن نحميها من التلوث الإباضي ، ومن التلوث السيء الذي يسيء إلى الإنسان في أخلاقه ، في تصرفاته ، في
سلوكه ، في علاقاته . وعلينا أن نرعى البيئة المعنوية كما رعىنا البيئة المادية من أجل أن تكون نظيفة ، علينا
أن نرعى البيئة المعنوية من أجل أن تكون طاهرة . فما أروع البيئة المعنوية الطاهرة ، وما أروع البيئة المادية
النظيفة ، فما بين النظافة والطهارة ، النظافة عنوان البيئة المادية ، والطهارة عنوان البيئة المعنوية .
لذلك أحببت أن أستغل الخطبة هذا الأسبوع لأوجه النداء إليكم ، أريد أن أوجه النداء إليكم من أجل بيئة مادية
نظيفة ، لأن الأوساخ كثرت ، ولأن الناس ما عادت تهتم بنظافة الطرقات ، وبنظافة البيوت ، بل أضحى عنوان
البلد عندنا اللانظافة .

أناشدكم وأدعوكم إلى بيئة نظيفة ، إلى هواء نقي ، إلى بلد ساكن آمن لا ضجة فيه ولا تلوث ولا أقدار ، كما
إنني أناشدكم وأدعوكم إلى بيئة معنوية طاهرة لا فساد ولا رشوة ، ولا تسبب ، لا مجون فيها ، لا سيما وقد أقبل
علينا فصل الصيف وما منا إلا وسيشعر بهذا الذي أقول ، سيجس وسيشعر بفقدان البيئة الجميلة المادية وكذلك
المعنوية فهل من مستجيب إلى نظافة البيئة المادية وطهارة البيئة المعنوية ؟
أحببت في هذا الأسبوع أن أقرأ على مسامعكم وصايا سيدي رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وهو يدعوكم
إلى العناية بالبيئة المادية نظافةً ، وإلى رعاية البيئة المادية أيضاً نظافةً وتجنباً لكل ما يؤذيها من أوساخ وأقدار
وإهمال .

فيا أتباع محمد عليه وآله الصلاة والسلام - كما قلت في أكثر من مناسبة - لو أن أنساناً أجنبياً جاء بلدنا
وسأل عن دين أهلها ؟ وقال المجيبون : إن دين أهلها الإسلام . وسأل عن الإسلام وعما جاء به الإسلام من قيم
وفضائل ، لقال المجيبون : إن الإسلام دين النظافة ، دين الحضارة ، دين الأخوة ، دين العلاقة الطيبة ، دين
الإخاء ، دين الجوار ، دين الهناء ، دين السعادة ، دين الأطمئنان ، دين الأمان ، دين الأمن ، لقال المجيبون كذلك .
لكن هذا الذي يسمع سيكون مستغرباً جداً ، سيسمع أحاديث وآيات تحضّ على النظافة وتدعو إليها ، لكنه لن
يرى أثراً لها في الواقع ، وما عليكم من أجل أن تصدقوا هذا الكلام إلا أن تمشوا في شوارعنا وفي أحيائنا
وفي أسواقنا ، فستجدون أن الإسلام لا يمكن أن يكون في كله أو في جزئه عنواناً لأسواقنا وأحيائنا وشوارعنا
وسياراتنا وأدواتنا ووسائل نقلنا ، فكل ذلك يجانب ويجانف الإسلام في تعليماته ، ومن باب (فنكر) وها أنا أذكر

ثانية وثالثة ورابعة حتى يتحول هذا التذكير وهذه الأحاديث التي نذكر بها إلى واقع وسلوك، وإلا فبيننا وبين الإسلام مسافات، ولا يمكن أن نقدم واقعنا على أنه واقع مسلم.

عن أنس رضي الله عنه كان يقول: "ما مسست حريراً ولا ديباجاً ألين من كف النبي عليه وآله الصلاة والسلام، ولا شممت ريحاً قط أو عرقاً أطيب من ريح أو عرق النبي صلى الله عليه وآله وسلم" رواه البخاري ومسلم.

وروى الترمذي عن سعد عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال: "إن الله عز وجل طيب يحب الطيب، نظيف يحب النظافة، كريم يحب الكرم، جواد يحب الجود، فنظفوا أفئيتكم ولا تشبهوا باليهود". يقول عليه الصلاة والسلام في الحديث الذي يرويه الخطيب بسند حسن: "إن الإسلام نظيف، فتتظفوا فإنه لا يدخل الجنة إلا نظيف".

وروى الإمام احمد عن جابر رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال: "على كل رجل مسلم في كل سبعة أيام غسل يوم، وهو يوم الجمعة".

وروى الترمذي بسند حسن قال: قال النبي صلى الله عليه وآله وسلم: "قصوا أطافركم، وادفنوا قلاماتكم - أي أطافركم بعد أن تقصوها - ونفوا براجمكم - أي عقد الأصبع - ونظفوا لثانكم - من الطعام - واستاكوا ولا تدخلوا عليّ فحراً - مصفرة أسنانكم - بُحراً - منتنة أفواهكم".

إننا نلاحظ اليوم إهمالاً للفم، للأسنان، فشبابنا لا يُحنون بأسنانهم ولا يعنون بأفواههم أو يكاد حضورهم يكون منفراً، والمسلم من خلال نظافته التي دعاه إليها الإسلام لا يمكن أن يكون منفراً، بل هو عامل جذب واجتذاب لأنه نظيف الظاهر، طاهر الباطن.

وروى أبو داود والترمذي أيضاً عن النبي صلى الله عليه وآله والسلام أنه قال: "عرضت عليّ أجور أمتي حتى القداة - القشة الصغيرة من الأوساخ - يخرجها الرجل من المسجد" هذه لك فيها أجر.

وروى الإمام مسلم أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال: "عرضت عليّ أمتي بأعمالها حسناتها وسيئها، فرأيت في محاسن أعمالها إمطة الأذى عن الطريق، ورأيت في سيء أعمالها النخامة في المسجد لم تدفن". وروى ابن حبان في صحيحه أن النبي صلى الله عليه وآله والسلام قال: "تح الأذى عن طريق المسلمين" فما بالك بمن يضع الأذى في طريق المسلمين؟! انظروا شوارعكم ما أكثر الأذى فيها، انظروا أحياءنا ما أكثر الأذى فيها، وبعد ذلك نذهب إلى المسجد زُرافاتٍ ووجداناً ثم نقول للناس: إن الإسلام دين نظيف؟! صحيح إن الإسلام دين يحث على النظافة، لكننا أبداً في هذه القضية بعيدون عن الإسلام، ولا يمكن أن نسمي مسلمين ما دامت حال شوارعنا وحال أحيائنا وحال أسواقنا وحال مقابرنا الحالة التي هي عليها، فليست هذه الحال بالحالة التي تدلل أنها حال قوم مسلمين.

وروى الطبراني عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم بسند حسن "من أذى المسلمين في طرقهم وجبت عليه لعنتهم" سواء أكان هذا الإيذاء بالضجيج أو بالأصوات المرتفعة أو بالسهرات الفارغة أو بممارسة الهوايات

المزجعة أو، أو... وهناك أشكال كثيرة للإيذاء إن أردتم التعرف عليها فامشوا في مناكب بلدنا وانظروها، فهي بيّنة جلية واضحة.

روى الطبراني والبيهقي بسند حسن أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال: "من غسل سخيّمته - شيئاً من أشيائه - على طرق المسلمين فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين".

روى البخاري ومسلم أن النبي عليه وآله الصلاة والسلام قال: "بينما رجل يمشي بطريق، وجد غصن شوك فأخّره، فشكر الله له فغفر الله له".

حدثتكم منذ أسابيع عن منظر يؤذيني ويؤذيكم، عن منظر سائق سيارة يقود سيارته العامة أو الخاصة وبيده سيجارة يدخنها أو لفاقة تبغ كما يقال حتى إذا ما انتهى منها رمى بقيتها في الشارع هكذا وربما جاءت إلى إنسان فأذته، أو جاءت إلى زرع مُصفرّ يستعد للحصاد فأحرقته أو جاورت مكان وقود فأشعلت النار فيه وأضرته.

روى النسائي أيضاً في سننه أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال: "السواك مطهرة للضم مرصاة للرب" أتدرون كيف كان النبي صلى الله عليه وآله وسلم عندما يدخل إلى بيته ما الذي كان يفعله أولاً؟ روى الإمام مسلم عن شريح بن هانئ قال: "قلت لعائشة رضي الله عنها بأي شيء كان النبي صلى الله عليه وآله وسلم يبدأ إذا دخل بيته قالت: السواك" كان ينظف أسنانه وينظف فمه، لأنك عندما تكون خارج البيت ربما لأمس فمك وأسنانك أشياء غير نظيفة فانبعث من فمك رائحة كريهة أتريد أن تقابل أهلك بهذا الفم الممتلئ غباراً والممتلئ أشياء وأشياء تضر بمن يقابل فهيا إلى غسل فمك وإلى تنظيف أسنانك حتى يصدر فمك كل رائحة طيبة. هكذا كان يفعل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم.

روى ابن السني بسند حسن أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال: "إن الله جميل يحب الجمال، إذا خرج أحدكم إلى إخوانه فليتهياً في نفسه" فأين تهيوك وأنت تريد المسجد؟ وأين تهيوك وأنت تريد أن تسهر مع أهلك؟ وأين تهيوك وأنت تريد أن تكون في جلسة مع أصحابك؟ أراك لا تتهياً إلا عندما تريد أن تذهب إلى مكان وأظن أن هذا المكان سيكون فيه إيذاء معنوي لك، وبالتالي فأنت تقدم له عكس ما سيقدمه إليك. روى الحاكم على شرط الشيخين أن النبي عليه الصلاة والسلام قال: "أحسنوا لباسكم وأصلحوا رجالكم حتى تكونوا كأنكم شامة في الناس".

أعود إلى البداية، البيئة بيئتان: مادية ومعنوية، أما عنوان البيئة المادية النظافة، فهيا إلى النظافة، وأما عنوان البيئة المعنوية فالطهارة من كل ما يسيء إلى أخلاق أمتنا، الطهارة من الدماء المراقبة أو التي تراق، فالمجتمع الذي تُراق فيه دماء أبنائه مجتمع غير طاهر، لأن هذه الدماء تلوث البيئة المعنوية. لا نريد يا إخواننا، لا نريد ونرفض البيئة المعنوية الفاسدة أو غير الطاهرة، كما أننا نرفض البيئة المادية غير النظيفة، نريد بيئة معنوية طاهرة وبيئة مادية نظيفة، فهيا إلى تطير البيئة المعنوية وتنظيف البيئة المادية، عند ذلك يمكن أن ندعي إلى الإسلام وأن نكون ونحن ندعي انتسابنا إلى الإسلام صادقين بعض الشيء، وسيكون لنا لقاء في الأسبوع القادم حول الحديث عن البيئة المعنوية الطاهرة، وسنورد أحاديث تتعلق بالأخلاق وبكل ما يدل على طهارة البيئة المعنوية كما تحدثنا عن كل ما يؤشر ويعرب ويدلل على البيئة المادية النظيفة.

الخطبة الثانية:

ان الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونتوب اليه , واشهد ان لا اله الا الله وحده لا شريك له العزيز الجبار
الرازق الوهاب , البارئ الخالق جل جلاله , واشهد ان محمدا رسول الله عبده ورسوله صفيه من خلقه وحبيبه
الذي بلغ الرسالة وادى الامانة ونصح الامة وكشف الغمة ودعل البشرية الى الدين القويم (ما فرطنا في
الكتاب من شيء) افلح وفاز من تمسك بكتاب الله وسنته الشريفة r .

أما بعد ,

فيا أيها الإخوة المؤمنون المسلمون :

لفت الله سبحانه وتعالى النظر إلى ما يمكن أن يحدث- وهو ما نراه اليوم- إذا أغرق الإنسان في استغلال
هذه البيئة دون مبالاة بالموازين، فقال عز من قائل: (ولو بسط الله الرزق لعباده لبغوا في الأرض) [سورة
الشورى: 27] وقال جل شأنه: (ولا تطيعوا أمر المسرفين الذين يفسدون في الأرض) [سورة الشعراء:
151-152] وقال سبحانه: (ولو اتبع الحق أهوائهم لفسدت السماوات والأرض) [سورة المؤمنون: 71].

المشكلة إذن لا تكمن في استغلال خيرات السماء وبركات الأرض، فتلك لازمة من لوازم التسخير ظوازم
العمران، ولكنها تكمن في الإسراف والطغيان والبغي بغير الحق، وكلها مترادفات تعني تجاوز الحد وعدم
المبالاة بالموازين، وكلها تؤدي إلى الإخلال بالموازين إخلالاً يفسد هذه البيئة ويجعلها غير صالحة لحياة
الناس. ولقد حذر الله سبحانه في مواضع متعددة من كتابه الكريم من الفساد في الأرض.. والفساد البيئي أول
ما يتبادر في هذا المقام، فقال سبحانه: (كلوا واشربوا من رزق الله ولا تعثوا في الأرض مفسدين) [سورة
البقرة: 60] وقال جل شأنه: (ولا تفسدوا في الأرض) [سورة الأعراف: 85] وقال عز من قائل: (ولا
تعثوا في الأرض مفسدين) [سورة العنكبوت: 136] وقال تعالى: (ولا تبع الفساد في الأرض) [سورة
القصص: 77]. ولطال ما نهى الأنبياء عليهم الصلاة والسلام اقوامهم عن الفساد في الأرض.

بل لقد خص الله بالذكر ذلك النوع من الفساد الذي يستأصل النبات والحيوان فقال. (ومن الناس من يعجبك
قوله في الحياة الدنيا ويشهد الله على ما في قلبه وهو ألد الخصام .. وإذا تولى سعى في الأرض ليفسد فيها
ويهلك الحرث والنسل ، والله لا يحب الفساد [سورة البقرة: 205].

إن هذا الإسراف في استغلال البيئة دون ضابط ولا ناظم، ظلم ما بعده ظلم، وكفر بنعمة الله لأن شكر النعمة
يكون بالحفاظ عليها، وقد ضرب الله في القرآن مثل القرية التي (كانت آمنة مطمئنة يأتيتها رزقها رغداً من كل
مكان فكفرت بأنعم الله ، فأذاقها لباس الجوع والخوف بما كانوا يصنعون) [سورة النحل : 112]. وقال عن
أمثالها : (وكذلك أخذ ربك إذا أخذ القرى وهي ظالمة ، إن أخذهم شديد [سورة هود : 102] . و (ما كان
الله ليظلمهم) [سورة العنكبوت: 40] ، ولكنهم كانوا (يبغون في الأرض بغير الحق .. يا أيها الناس إنما
بغيتكم على أنفسكم) [سورة يونس: 23].

ولم يكتف، الله سبحانه بالتحذير من هذا الفساد، وإنما بين طريق الصواب فقال. عز وجل: (قل أمر ربي
بالقسط) [سورة الأعراف: 29] أي العدل والاعتدال في الأمور كلها دون إفراط ولا تفريط. ونهى النبي
صلى الله عليه وسلم عن كل ما فيه ضرر فردي أو جماعي فقال: " لا ضرر ولا ضرار " [رواه الدار
قطنى وابن ماجة وأحمد).

وكان من هديه صلى الله عليه وسلم أنه قال: لا يبولن أحدكم في الماء الراكد [رواه أبو ابن ماجه]، وقد نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يبول في مستحمه [رواه أبو داود] ، وكان يقول: اتقوا اللاعنين قالوا: وما اللاعنان ؟ قال: الذي يتخلى (يتغوط) في طريق الناس وفي ظلمهم [رواه مسلم] ؛ ويقول: اتقوا الملاعن الثلاث: البراز في الموارد وقارعة الطريق والظل [رواه أبو داود].

وقد لخص الإمام العظيم العز ابن عبد السلام حقوق العباد على المكلف بأن يجلب إليهم كل خير ويدفع عن كل ضير. فإن الخير يعبر به عن جلب المصالح ودرء المفاصد والشر (أو الضير) يعبر به عن جلب المفاصد ودرء المصالح.

وفي المجتمع، الإسلامي ضمانته من أهم ضمانات تحري الإصلاح ومحاربة الفساد، ألا وهي الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر. وهي فريضة تتعدى مجرد التوعية وإتاحة المعلومات، إلى متابعة تطبيق هذه المعلومات في حيز الواقع.

النبى صلى الله عليه وسلم ينهى عن الضرر الفردي والمشارك فيقول: لا ضرر ولا ضرار [رواه الدار قطنى وابن ماجه وأحمد]، وينهى عن إيذاء الجار - أي جار: في المنزل أو وسائل النقل المشترك أو الأماكن العامة أو المكاتب...- فيقول: " من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يؤذ جاره [متفق عليه عن أبي هريرة].

ومثل ذلك موقفا كل مسلم ملتزم من الذي يسكب نفايات مصنعه في المياه المشتركة بين الناس أو غير ذلك من أجزاء البيئة المشتركة، بل الذي يساهم في إفساد البيئة بأي شكل من الأشكال. فالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر هو في الحقيقة ستهر من قبل كل فرد من أفراد المجتمع الإسلامي على تطبيق القانون وتحقيق ما يضمن المصلحة ودرء ما يحدث أي مفسدة. وقد جعل الإسلام حماية البيئة والنهي عن إفسادها، واجبا من واجبات المجتمع الفاضل، فقال سبحانه: (فلولا كان من القرون من قبلكم أولو بقية ينهون عن الفساد في الأرض [سورة هود: 116].

دعاء

اللهم وفقنا لإنتاج بيئة معنوية طاهرة وبيئة مادية نظيفة، اللهم حببنا للنظافة وحبب النظافة لنا، اللهم حببنا للطهارة وحبب الطهارة لنا، حببنا للطهر وكره إلينا العهر والفسوق والعصيان والقذارة والوساخة وإراقة الدماء والقتل والتشريد والاضطراب والقلق وحبب إلينا الأمن والأمان والسلام والنظافة والطهارة يا رب العالمين، نعم من يسأل، ونعم النصير أنت، أقول هذا القول وأستغفر الله.